﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحجّ: 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكْـــرُ حـال أهـــل الـعـلـم مـــع الإلـــقـــاء الشَّيطانيّ بعد ذِكْـرِ حـال أهل الكفر

لمّا ذكر الله ﷻ الحكمة ممّا فعله الشَّيطان من إلقاء الشُّبه والوساوس في قلوب أهل الكفر والنِّفاق اختبارًا من الله ﷻ لهؤلاء؛ بيَّن سُبحانه حكمةً أُخرى تتعلَّقُ بحال أهل العلم والإيمان مع ذلك الإلقاء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتُخْبِتَ﴾: (خبت) أصلُ الكلمةِ من الخَبْتِ، وهو: المكانُ المنخفِض والواسع؛ ومنه سُمّي التَّواضع إخباتًا؛ لأنَّ المُتواضع أخفضَ نفسَه ولم يرفعْها[2]، والإخبات: الخشوعُ والسُّكون، يُقالُ: أخبَتَ يُخبت إخباتًا: إذا خشعَ لله تعالى، ورَجُلٌ مُخبتٌ؛ أيْ: خاشِعٌ ساكِنٌ[3]، والخَبيت: الحقيرُ من الأشياءِ[4]، ويأتي الإخبات بمعنى اللّين والتَّواضُع، يُقالُ: فيه خِبتَةٌ؛ أيْ: تواضُعٌ[5]، ومن معانيه أيضًا: الاطمئنانُ والخُشوعُ؛ وهو المُراد في الآية.

2) ﴿لَهَادِ﴾: (هدي) أصلُها الرَّشادُ، والبَيانُ، والدَّلالةُ بلُطْفٍ إلى ما يوصِلُ إلى المَطْلوبِ، يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ، وهو لازِمٌ ومُتَعَدٍّ، يُقالُ: هَداهُ، هُدًى، وهَدْيًا، وهِدايَةً، وهِدْيَةً، وهَداهُ للدّين وإلى الدّين؛ أيْ: أرْشَدَهُ

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 424، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 9/ 329.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خبت).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خبت).
(4) الخليل، العين، وابن سِيدَه، المُحْكَم، وابن منظور، لسان العرب: (خبت).
(5) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خبت).

إليه وبَيَّنَهُ له، وعَرَّفَهُ به، وضِدُّه: الضَّلالُ[1]، والهادي: الدَّليلُ؛ لأنَّه يتقدَّمُ القوْمَ ويَتْبَعونَه، أوْ لكوْنِه يَهْديهم الطَّريقَ[2]، والهِدايَةُ: الإرْشادُ على المَقْصِدِ النّافِعِ والدَّلالةُ عليه[3]، والمُرادُ بالهُدى في الآية: عنايةُ اللّهِ وتَيسيرُه وتوفيقُه.

3) ﴿صِرَاطٍ﴾: هو الطَّريقُ الواضِحُ المُسْتَقيمُ، وسُمّي صِراطًا؛ لأنَّ النّاسَ يَسلُكونَهُ بِسُرعَةٍ لِكونِهِ واسِعًا مُستقيمًا، والجَمْعُ: صُرُطٌ، أو مِنْ سَرِطتَ الشَّيْءَ: إذا ابْتَلَعْتَهُ؛ لأنَّهُ - أي الطَّريق - يَبْتَلِعُ المارَّةَ لِكَثْرَةِ سُلوكِهم لهُ[4]، والصِّراط لُغَةٌ في السِّراطِ، والصّادِ أعلى لِمَكانِ المُضارَعة وإن كانَتِ السّينُ هيَ الأصل[5]، والمقصود بالصِّراط في الآية: الطَّريقُ البَيِّنُ القَويم.

4) ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: (قوم) أصْلانِ صَحيحانِ، وأصلُ الاستقامة يدلُّ على اعْتِدال الشَّيْء واستوائِه[6]، تُقالُ في الطَّريق الذي يكونُ على خطٍّ مُستوٍ، وبه شُبِّه طريقُ المحقّ[7]، والمُستقيمُ: السَّويُّ، مُشْتَقٌّ من القَوام - بِفَتْحِ القافِ - وهو اعتدالُ الذّاتِ، اسْمُ فاعِلِ استقامَ، وهو الَّذي لا عِوَجَ فيهِ ولا تعاريجَ، وأحسنُ الطُّرقِ الَّذي يكونُ مُسْتَقيمًا وهو الجادَّةُ؛ لِأنَّهُ بِاسْتِقامَتِهِ يَكونُ أقْرَبَ إلى المكانِ المقصودِ من غيره فلا يَضِلُّ فيه سالكهُ ولا يتردَّدُ ولا يتحيَّرُ، وحقيقةُ المُستقيمِ في الآية: السّالِمُ مِنَ العِوَجِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

(ولِيَعلَمَ الّذين آتاهم اللّهُ العِلمَ النّافِعَ الذي يُفَرِّقونَ به بينَ الحَقِّ والباطِلِ أنَّ ما أنزَلَه اللّهُ هو الحَقُّ لا غيرُه مِمّا ألقاه الشَّيطانُ، فيُؤمِنوا بالقُرآنِ ويَعمَلوا به ويَزدادوا هُدًى؛ فتَخضَعَ وتَلينَ قلوبُهم للحَقِّ الذي جاء من عند اللّهِ وتَطمَئِنَّ به وتُذعِنَ إليه وتقِرَّ، وإنَّ اللّه لَمُرشد المؤمنينَ باللّه ورسوله إلى طريقٍ قويمٍ في الدُّنيا والآخرة؛ أمّا في الدُّنيا فيُرشدهم إلى الحقِّ واتِّباعه، ويوفّقُهم لمخالفة الباطل واجتنابه بتأويلٍ سليمٍ للمُتشابه في الدّين، وتفصيلٍ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سِيدَه، المُحكَم، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (هدي).
(2) ابن سِيدَه، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (هدي).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 101.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سِيدَه، المُحكَم، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سرط - صرط).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سرط - صرط).
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (قوم).
(7) الرّاغب، المُفردات: (قوم).

واضحٍ للمُجمل منه، وأمّا في الآخرة فيَهديهم الطَّريقَ الصَّحيح الموصِل إلى درجات الجِنان، ويَصرفُهم عن دَرَكات النّيران)[1].

مِـن شـأن الله تعالى أن يهديَ الذين آمنوا إلى الطَّريق الأقوم

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواو وفائدتُهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ عَطْفٌ على ﴿لِّيَجْعَلَ﴾؛ حيث ذَكَرَ حالَ الظّالمين في الآية السّابقة، ثُمَّ ذَكَرَ حالَ المؤمنين في هذه الآية، وذلك من باب المُقابلة والمُقارنة بين حال الفريقيْن[2].

إتباع ذِكْـرِ حالِ المُؤمنين بِـذِكْـرِ حـالِ الـظّـالمين عـــلى سـبـيـل المُقابلة والمُقارنة

ويُلاحَظُ أن الحديث عن حال المؤمنين هنا مُؤخَّرٌ عن ذِكْر حال الكافرين؛ لأنَّ السّياق في الأصل لبيان التّحذير من الشّيطان والاستجابة له.

معنى اللّام في ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾:

لام ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ على أصل معنى التَّعليل والغرض؛ أيْ: ينسخ الله ما يُلقي الشَّيطان ويُحكمُ الله آياته لإرادة أنْ يعلمَ المؤمنون أنَّه الحقُّ برسوخ ما تمنّاه الرَّسول والأنبياء لهم من الهُدى، كما يحصل لهم بما يُحكِمُ اللهُ من آياته ازديادُ الهُدى في قلوبهم[3]؛ أيْ: لكي يعلمَ أهلُ العلم بالله أنَّ الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها، ونسخ ما ألقى الشَّيطان أنَّه الحقُّ من ربِّهم، فيُصدّقوا به وتخضع له قلوبهم وتُذعنَ للإقرار به نفوسُهم[4]؛ فهي عِلَّةٌ لفعل الإتيان بالآيات مُحكمةً، ويجوز أن تكون الإشارةُ إلى التَّمكين المفهوم ممّا تقدَّم من النَّسخ والإحكام معًا، وقوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ عِلَّةٌ لفعل التَّمكين وما بعده عِلَّةٌ لما بعد[5].

إفادةُ كونِها عِلَّةً لـفـعـل الإتـيـان بالآيات مُحكمةً

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 613، وابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 129، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 542.
(2) الدُّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 6/ 189.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 301.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 130.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 166.

دلالةُ ذِكْرِ الموصول وفائدةُ إبهامه في الجُملة الكريمة:

تشريفُهم بالوصفِ الكاملِ، ولفتُ الانتباهِ في الإبهام إلى التَّفصيل الذي يليه

المقصود من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾ هم المؤمنون بقرينة مقابلته بـ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وبقرينة قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، وتكمنُ فائدةُ إبهامِ الاسم الموصول في تشريفهم بالوصفِ الكاملِ وهو اتِّصافهم بالعلم والعمل به؛ لأنّ الصلة تعريفٌ وبيانٌ للموصول، وفي الموصول إشارةٌ إلى عمومِ مَنْ أوتي العلمَ؛ لأنَّ لفظ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من ألفاظِ العموم، مع ما فيه من لفتِ الانتباهِ بالإبهام؛ ليقعَ بعده التَّفصيلُ فيتمكَّنَ معناه من الذِّهن، ولم يُعبَّر عنهم بالمؤمنين؛ بل آثر السّياقُ الاسمَ الموصول للدلالة على أنّ المؤمنين هم أهلُ العلم، وأنَّ تمييز الشُّبُهات من اختصاصهم.

نكتةُ جمعِ الاسم الموصولِ:

كم من فئةٍ قليلة أشرف من فئةٍ كثيرةٍ؛ بالإيمان والعلم

في إيرادِ الاسم الموصول جمعًا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾؛ إشارةٌ إلى أنَّهم جماعة المؤمنين، وفريق الصّالحين الذين آتاهم الله العِلْمَ وتمييز الشُّبهات، وكُلَّما تُلِيَ عليهم القُرآن ازدادوا علمًا، وكُلَّما ازدادوا عِلْمًا ازدادوا إيمانًا، واستمر إخباتهم، وفي الجمع معنى تعظيمهم؛ وإن كانوا قلّةً في جنب المقابلين من أهل الكفر والنِّفاق.

دلالة الفعل ﴿أُوتُواْ﴾ مبنيًّا للمفعول:

تعظيم ثمرة العلم في حَدِّ ذاته

بُنِيَ فعل ﴿أُوتُواْ﴾ للمفعول تعظيمًا لثمرته في حَدِّ ذاته[2]، وللعلم بمَن آتاهم وتَفَضَّل عليهم بهذا الشَّرف العظيم؛ فإيتاء العلم مِنَّةٌ من الله على خُلَّص عِباده وصفوة خلقه، وفي حذف الفاعل دلالةٌ على قوّة علْم أهل الإيمان به، وعظيمِ قُربِهم منه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 302.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 73.

وجهُ التعريف باسم الموصول:

الإيماءُ إلى وجهِ استحقاقهم للثَّناء من الله سُبحانه

عُرّف المُسندُ إليه بالاسم الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾؛ للإيماءِ إلى وجهِ استحقاقهم للثَّناء من الله سُبحانه، وهو العلمُ الذي أوتوه، والذي كان سببَ إيمانهم وخضوعهم وخشيتهم عند سماع كلام الله تعالى، وهذا مبنيٌّ على أن الصّلة تعريفٌ وبيانٌ للموصول، وهذا ثناءٌ على أصحاب الرسل بأنهم أوتوا العلم[1].

سرُّ التّوكيد بـ (أنّ)، والمصدر ﴿ٱلۡحَقُّ﴾:

التَّأكيدُ على فضيلة العلم الدّالّ على الحقِّ والمُفرِّق بَيْنَ الرُّشد والغيّ

(أنَّ) واسمها وخبرها سدَّتْ مسدَّ مفعولي ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾[2]، وقد جاء تأكيدُ الجملة بحرف التَّوكيد واسميّة الجُملة تأكيدًا على أنَّ الله منحهم من العلم، ما به يعرفونَ الحَقَّ من الباطل، والرُّشدَ من الغيِّ، فيُفرِّقون بين الأمريْن: الحَقّ المستقرُّ الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كلٍّ منهما من الشَّواهد، وليعلموا أنَّ الله حكيم يُقيِّض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائنَ النُّفوس الخَيِّرة والشِّريرة[3].

دلالةُ عود الضَّمير في ﴿أَنَّهُ﴾:

العلم طريق الهدى والوحي

الضَميرُ في ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ عائدٌ إلى العِلْمِ الَّذي أوتوه؛ أيْ: ليَزدادوا يَقينًا بأنَّ الوحيَ الَّذي أوتوه هو الحقُّ لا غيرُه[4]، وهذا الوجه أبرُّ بالسّياق، وقد يكون الضَّمير في ﴿أَنَّهُ﴾ عائدًا على القرآن[5]، أو عائدًا على عموم الشَّيء الذي تلوتُهُ أوْ حدّثتُ به[6]، ويَجوزُ أنْ يكونَ ضَميرُ ﴿أَنَّهُ﴾ عائدًا إلى ما تَقدَّمَ من قولِه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ إلى قولِه: ﴿ثُمَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 302.
(2) الدّعّاس، إعراب القرآن الكريم: 2/ 316.
(3) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 639.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 303.
(5) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 129.
(6) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 73.

﴿يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾؛ أيْ: إنَّ المذكورَ هو الحقُّ[1]، وفي هذه التَّقادير دلالةٌ على التَّوسُّع في المعنى المُفضي الى تنوُّعِه.

بلاغة القصر بتعريف الجُزئيْن:

القَصرُ في الجملة الكريمة مُستفادٌ مِن تَعريفِ الجُزأيْنِ في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو قَصرٌ إضافيٌّ[2]، وفي تعريف الطَّرفيْن دلالةٌ على أنَّ القرآن الكريم هو الحقُّ، فليس حديثًا يُفترى ولا أساطير الأوَّلين[3]، والمحدّث عنهم إنّما علِموا هذا المعنى بهذه الصِّفة من التَّحقيق والتَّوكيد.

الدَّلالة القاطعة على أنَّ القرآن الكريم هو الحقُّ الذي لا مريةَ فيه

نكتة التَّعبير بالاسم ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ دون الفِعْلِ:

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: الصَّريح والصّدق البالغ المنزَّل عليك يا سيّدَ الرُّسل[4]، ومجيءُ اللَّفظ اسمًا يدلُّ على ثباتِه واستقراره؛ فهو الحقُّ الثّابت الذي لا يمكنُ زوالُه[5]؛ فالتَّشاكل بين اللَّفظ ومعناه جدٌّ ظاهرٌ، كما أنّ الجملة بأكملها اسميّةٌ تفيدُ الثُّبوت والاستقرار.

الدَّلالة على الثَّبات والاستقرار

إيثار لفظ الرُّبوبيَّة مضافاً إلى كاف الخطاب النَّبويّ:

قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ أيْ: من عند ربِّك يا محمَّد[6]؛ فالحقُّ الثّابت الصَّحيح نازلٌ من عنده وهو الذي أنزله بعلمِه وحفظه، وصانه أن يختلط به غيره[7]؛ ففي التَّعبير بـ(الرّب) مُضافًا إلى (كاف الخطاب) المقصود به سيّدُنا محمّد ﷺ إشارةٌ إلى أنْ وفق هؤلاء للهدى والعلْم بالحقِّ؛ إحسانًا إلى نبيِّه ﷺ ، وفي ذلك أيضًا: بيانٌ لعظيم إحسانه ﷻ على نبيِّه؛ والمعنى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: المُحسن

الدَّلالة على التَّربية والإحسان والتَّشريف بالامتنان بالقرآن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 303.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 303.
(3) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 5007.
(4) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 6/ 183.
(5) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 73.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 134.
(7) المُظهريّ، التَّفسير المُظهريّ: 6/ 341.

إليك بتعليمك إيّاه؛ فهو الذي ربّاك وشَرَّفك في هذه الرِّسالة، وهذا القرآن العظيم[1].

كُلَّما جودل أهلُ الحقِّ ظهرت حُجَجُهُ ووضحت براهينه وغُمرت لججُه

وفي هذه الإضافةِ تشريفٌ للنّبيّ ﷺ مع بيان كمال عنايته ﷻ بنبيّه الكريم، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى قوّة هذا الحقّ، فكُلَّما جودل أهلُه ظهرت حُجَجُهُ وأسفرت وجوهه، ووضحت براهينه وغُمرت لججُه[2]، ونلمح في الجارّ والمجرور ما يُفيد التَّعليل لكونه الحقّ؛ وهو أنَّه نازلٌ من ﴿رَّبِّكَ﴾.

معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾:

ما أعظم الإيمان الذي هو وليد العلم والإدراك

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾: للسَّببيَّة، أي بسبب علمهم أنّه الحقُّ النازلُ من ربِّك يؤمنون به[3]، وتسبُّبُ الإيمان عن العلم بالحقيقة الناصعة دليلٌ على أنَّ إيمانهم لم يكن ناشئاً عن تقليد وضعف بصيرة بالآيات، بل عن فهم وإدراك ونباهة وبحث، ولذا استحقوا المدح والتنويه بالإيمان الناشئ عن البصيرة.

دلالة المُضارع ﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾ في فعل الإيمان:

تجدُّد ثباتهم على الإيمان وزيادته بتجدُّد علمهم بالقرآن

المُرادُ من قوله تعالى: ﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ الإيمانُ بالوحي؛ أيْ: القرآن؛ أيْ: يثبتوا على الإيمان به[4]، وكلَّما تجدَّد لهم علمٌ به تجدَّد بذلك لهم ثباتٌ على الإيمان واستمرارٌ على الالتزام، وازدادوا إيمانًا مع إيمانهم[5].

معنى العطف بالفاء في ﴿فَتُخْبِتَ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّ الإيمانَ سَبَبٌ لخشوع القلب وسُكونه وانقياده

قوله: ﴿فَتُخْبِتَ﴾ عطفٌ على: ﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾، والفاء فيها للسَّببيَّة، أو عاطفة على العلم الذي أوتوا؛ والمعنى: فتخشعَ قلوبُهم

(1) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 6/ 183.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 73.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 5007.
(4) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 4/ 487.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 166.

وتسكنَ وتنقادَ[1]، وتخضعَ للقرآن عَقِبَ التَّصديق به والإقرار بما فيه[2]؛ فصدقُ الإيمان وحقيقتُهُ يورِّث الإخباتَ في القلب، وهو الرِّقةُ والخشيةُ والخشوعُ في القلب وطولُ التَّفكُّر، وهذا من نتائج الإيمان وثمراته[3]، بخلاف المشركين الذين قيل فيهم: ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۖ﴾[4].

بلاغةُ الاستعارة في التَّعبير عن التَّواضع بالإخبات:

الدّلالة على كمال تهيّؤ قلوبهم للإيمان

قوله تعالى: ﴿فَتُخۡبِتَ﴾ معناه: تتواضعَ وتخضعَ، وهو مأخوذ من الخبت؛ وهو المُطمئِنُّ من الأرض[5] ضِدُّ المُصْعِد، فاسْتُعيرَ هذا المعنى هُنا للمُتَواضع، قال الرّاغب: "الخبتُ المُطمئنُّ من الأرض، وأخبتَ الرَّجل قَصَدَ الخبتَ أوْ نَزَلَهُ نحو أسهل وأنجد، ثُمَّ استُعمل الإخبات استعمال اللّين والتَّواضع"[6]؛ والمعنى: تواضعت قُلوب المؤمنين، ولم تُمار في الحقِّ قلوبُهم؛ بل أخبتتْ وسَكَنَتْ إلى الحَقِّ[7]؛ فهي استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ، شُبِّه فيها تواضعُ أهل العلم والإيمان وخُشوعُهم لسماع ما يُتلى عليهم من الآيات - بما تطامنَ منَ الأرض؛ تدليلًا على رُسوخ إيمانهم واستقراره وكمال اطمئنانهم، وأفادَ إسنادُ الإخبات للقلوب إلى إخبات كافَّة الجوارح؛ لأنَّ أصلها تواضعُ القلب لعظمة الله وآياته.

دلالةُ العطف ومعنى الواو:

من أجلِّ العطايا الثَّباتُ على الإيمان والتّرقّي فيه

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾ هذا إخبارٌ منه تعالى عن فعله مع أوليائه المؤمنين به المتقينَ له، وأنَّه هاديهم في حياتهم وفي كُلِّ أحوالهم إلى صراط مُستقيم يُفضي بهم إلى رضاه وجنَّته، وذلك

(1) القِنّوجيّ، فتح البيان: 4/ 487.
(2) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/ 4918.
(3) التّستريّ، تفسير التّستريّ، ص: 108.
(4) الواحديّ، الوسيط: 3/ 277.
(5) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 129.
(6) الرّاغب، المُفردات: (خبت).
(7) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 5007.

بحمايتهم من الشَّيطان وتوفيقهم وإعانتهم على طاعة ربِّهم[1]، وعُطفت هذه الجُملة الكريمة على ما سبق؛ إشعارًا بأنَّ مضمون هذه الجملة كالجزاء لأهل الإيمان؛ كما يرِد الجزاءُ بعد ذِكْر الأعمال؛ فإنّ المقصود بقوله: ﴿لَهَادِ﴾: لمثبِّتُهم في مقام الهداية إلى الصِّراط المستقيم بقرينة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ إذ لا معنى لهداية المؤمن إلّا هذا المعنى؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69]، وفي الجملة الاسميّة دلالةٌ أيضًا على أنَّ هذا الإيمان والإخبات كان بفضل الله وتوفيقه، فتفيد الامتنان على المؤمنين، وتنبيههم إلى فضيلة الشُّكر إزاء نعمة الهداية والعلم.

سِرُّ تذييل الآية الكريمة بِذِكْرِ هداية الله لأهل الإيمان:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الجُملةُ اعتراضٌ مُقرِّرٌ لِما قَبْلَه[2]؛ ببيان حُسن مآل أهل الإيمان بهدايتهم وفوزهم بسعادة العقبى[3].

بلاغة التَّوكيد بـ (إنَّ)، و(اللّام) واسميَّة الجُملة:

رسخَ الإيمانُ في قلوبهم فأهداهم الله الثَّبات عليه

أُكِّدتِ الجُملة الكريمة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾؛ بحرف التَّوكيد ولام التَّوكيد المُزحلقة واسميَّة الجُملة تقويةً للخبر وتوثيقًا لحُكمه وترسيخًا له في نفوس السّامعين، وفي التَّوكيد عظيم تأنيس لأهل الإيمان ولفتٌ إلى عَظَمَة المعنى في بابه؛ فالثَّبات على الإيمان والتَّرقّي في مقاماته نعمةٌ جليلة؛ والجملة كنايةٌ عن رضا الله على هؤلاء المُحدَّث عنهم.

سِرُّ التَّعبير باسم الجلالة:

التَّنبيه على سبب العلم ومصدر التَّوفيق

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أيْ: بجلاله وعظمته لهاديهم، وعبَّر بالاسم الجليل ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾ تنبيهًا على سبب العِلْم وهو هداية الله

(1) الجزائريّ، أيسر التَّفاسير: 3/ 488.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 114، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 307.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 130.

تعالى وتوفيقه لهم[1]، وفي التَّعبير به إشعار بأنَّ اللّٰه يفيض عليهم من جلاله وجماله وكماله؛ بما يُثبِّتهم على الإيمان، ويُرقّيهم في مقاماته، وفيه إشارةٌ إلى علَّة حصول الهداية للصِّراط المستقيم؛ لأنَّ الموفِّق إليها هو اللّٰه.

دلالة اختيار الاسم دون الفعل في لفظ ﴿لَهَادِ﴾:

ثبوتُ هَدْيِه ﷺ واستقراره في نفوس أوليائه قديمًا وحديثًا حالًا ومآلًا

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾ دليلٌ على ثبوت هديه ﷺ واستقراره في نفوس أوليائه حالًا ومآلًا، فيُثبِّتُ اللّٰه الذين آمنوا، بالقول الثّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، وهذا النَّوع من تثبيت اللّٰه لعبده، وهذه الآيات فيها بيان أنَّ للرَّسول ﷺ أسوةً بإخوانه المُرسلين[2]، وفي الاسم إنباء ببشرى جليلة؛ وهي استقرارهم في دوحة الإيمان ودوامُ ترقّيهم في مقامات الإيمان.

إيثار التَّعريف بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

قُصْدُ مدحهم بالوصف الشَّريف

إظهارُ لفْظِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في مَقامِ ضَميرِ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾؛ لِقَصْدِ مَدْحِهم بوَصفِ الإيمانِ، والإيماءِ إلى أنَّ إيمانَهم هو سبَبُ هَدْيِهم[3]؛ لأنَّه إيمانٌ ناتج عن علم؛ فهو إيمانٌ قويٌّ ثابتٌ صلبٌ لا يتزعزع أبدًا.

بلاغةُ الاستعارة في التَّعبير عن الحَقِّ بالصِّراط:

قد يُجازَى العبد بتقريبه من سيده معرفةً وعلمًا

الصِّراطُ المُسْتَقيمُ مُستعار للإيمان والحقِّ، لأنَّ الصِّراطُ يُطلق في الأصل على الطَّريق الحِسّيِّ المخصوص، فاستعمالُهُ هُنا لطريق الإسلام استعارة تَصريحيَّة أصليَّة؛ حيث شُبِّهَ دينُ الإسلام بالطَّريق المخصوص الحِسّيِّ، والجامع بينهما أنَّ كُلًّا مِنْهُما موَصِّل للمقصودِ[4]، مع الاستقامة في كلٍّ منهما؛ فصُرِّحَ باسم المُشَبَّه بِه

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 73.
(2) السَّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 639.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 307.
(4) الهَرَريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 1/ 92.

وطويَ ذِكْرُ المُشبَّه، على طريقة الاستعارة التَّصْريحيَّة، وفائدةُ الاستعارة ههنا التَّنْبيه على وضوحِ الطَّريقِ وعَدَمُ اشتباهِهِ؛ إذِ الحِسّيّاتُ أَظْهَرُ في التَّصوُّرِ من العقليّاتِ، وهذه الاستعارة تدلُّ على أنَّ اللّه سيُكافئهم بمزيد بيانٍ لأمور الدّين أصولِه وفروعِه؛ فيزدادون استقامةً وتقوًى وإيمانًا؛ وهذا رجوعٌ ظاهرٌ إلى ﴿ٱلْعِلْمَ﴾ الذي تنكشفُ به الأشياء في صدر الآية.

نكتة تنكير لفظ ﴿صِرَٰطٍ﴾:

تفخيم شأن هذا الصِّراط وكونه شاملًا لطريق الحَقِّ في الدُّنيا وصراط النَّجاة في الآخرة

في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ جاء لفظ الصِّراط - بالإضافة إلى وصفه بالاستقامة كذلك - مُنكَّرًا للتَّفخيم؛ تناسبًا مع سياق المكافأة والمجازاة؛ كأنَّه قيل: صراطٌ واضحٌ مستقيمٌ لا حدودَ له في وضوحه؛ ففي الدُّنيا يرشدُهم ربُّهم إلى الحقِّ واتّباعه، ويوفّقُهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم الصِّراطَ المستقيم الموصلَ إلى درجات الجنّات، ويُزحزحهم عن العذاب الأليم ودركات الجحيم[1].

نكتةُ وصف الصراط بالاستقامة في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

بيان كونه أحسنَ طريقٍ موصلٍ إلى المقصود وأقربَه

المستقيم: هو الَّذي لا عِوَجَ فيه ولا تعاريج، فأحسنُ الطُّرق ما كان مستقيمًا؛ لأنَّه باستقامته يكون أقربَ إلى المكان المقصود من غيره، فلا يَضِلُّ سالكُه ولا يتردَّد ولا يتحيَّر ولا يتعثّر، فهو العدلُ السَّويُّ الذي لا يميلون إلى غيره ولا ينحرفونَ عنه[2]، وفي وصف الصِّراط بـ(الاستقامة) ردٌّ على ما يدَّعيه أهل الكفر من العِوَج، وذكر هذا الوصف يدل على أنَّ من مكافأتهم أنْ يكون الصراطُ مستقيمًا.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 390.
(2) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 6/ 183.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»